ماسواه قبيحا فصار هذا مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على
تاركه بمخالفة الدين من حيث انه كان جائزا في العقل فيما يجب ان يوضع على خلافه

وأما أدب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز
في العقل ان يكون بخلافها ولا ان يختلف العقلاء في صلاحها وفسادها
وما كان كذلك فتعليله بالعقل مستنبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط
وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهد الهمها الله ارشادا لها قال الله تعالى فألهمها
فجورها وتقواها قال ابن عباس بيّن لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر
وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه فانه اولى واحق فأول مقدمات أدب
الرياضة والاستصلاح ان لا يسبق الى حسن الظن بنفسه فيخفى عليه
مذموم شيمه ومساوي اخلاقه لان النفوس بالشهوات آمرة وعن الرشد
زاجرة قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء قال النبي صلى الله عليه وسلم
اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك ودعت اعرابية
لرجل فقالت كبت الله كل عدو لك الا نفسك واخذه بعض الشعراء فقال

قلبي الى ما ضرني داعي ... يكثر اسقامي واوجاعي
كيف احترازي من عدوي ... اذا كان عدوي بين اضلاعي

واذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع
الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها واذا صرف عنها حسن الظن وتوسمها
بما هي عليه من التسويف والمكر فاز بطاعتها وانحاز عن معصيتها فقد
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه العاجز من عجز عن سياسة نفسه قال
بعض الحكماء من ساس نفسه ساد ناسه واما سوء الظن بها فقد اختلف
الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد مناصحتها فان النفس
وان كان لها مكر يردي فلها نصح يهدي فلما كان حسن الظن بها يعمي عن مساويها
كان سوء الظن يعمي عن محاسنها ومن عمي عن محاسن نفسه كان كمن عمي عن مساويها

فلم

فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا وقد قال الجاحظ في كتاب البيان
يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه
ان تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فأودعها ذلة المظلومين وان تجاوز بها
الحق في مقدار حسن الظن اودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من
الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال
الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده اهدم
وذهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ في صلاحها واوفر في اجتهادها لان للنفس
جورا لا ينفك الا بالسخط عليها وغرورا لا ينكشف الا بالتهمة لها لانها محجوبة
تجور اذلالا وتغتر مكرا فان لم يسئ الظن بها غلب عليه جورها وتمم عليه غرورها
فصار بميسورها قانعا وبالشبهة من افعالها راضيا وقد قالت الحكماء من رضي عن
نفسه اسخط عليه الناس وقال كشاجم

لم ارض عن نفسي مخافة سخطها ... ورضى الفتى عن نفسه اغضابها
لو انني عنها رضيت لقصرت ... عما يريد بمثله آدابها
وتبينت آثار ذاك فاكثرت ... عذلي عليه وطال فيه عتابها

وقد استحسن قول ابي تمام الطائي وتمنى بالاحسان ظنا كمن هو بابنه وبشعره
مفتون فلم ير واساءة ظنه بالاحسان ظلما ولا استقلال عمله لوما بل رأى ذلك
ابلغ في الفضل وابعث على الازدياد فاذا عرف من نفسه ما تحب وتصور
منها ما تكره لم يطعها وعصاها فيما تحب اذا كان غيا ولا صرف عنها ما تكرهه اذا كان رشدا
فقد ملكها بعد ان كان في ملكتها وغلبها بعد ان كان في غلبتها وقد روى ابو حازم
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد من غلب نفسه وقال
عوف بن عبد الله اذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احبت ولا يغرنك ثناء من
جهل امرك وقال بعض البلغاء من قوي على نفسه تناهى في القوة ومن صبر عن شهوة نفسه بالغ
بالغ في المروءة فحينئذ يأخذ نفسه عند معرفة ما اكنت وخبرة ما اجنت بتقويم عوجها

Copyright © King Saud University